

دلائل الإعجاز

معجزة كلِّ نبيٍّ فيما كان أـغلبَ على الذين بُعِثَ فيهم وفيما كانوا يتباهـونَ به وكانت عوامٌ هـم تعظـم به خواصـهم . قالوا : إنه لمـّا كان السحرُ الغالبَ على قومـِ فرعونَ ولم يكنْ قد استحكـم في زمانٍ استحكـمته في زمانه جعل تعالى مُعجزةَ موسى عليه السلام في إبطالـه وتـوهينـه . ولمـّا كان الغالبَ على زمانِ عيسى عليه السلام الطبُّ جعل اﻟتعالى مُعجزةَـه في إبراء الأكمـه والأبرصـ وإحـياء الموتى . ولما انتهوا إلى ذكرِ نبيِّنا محمـدٍ وذـكـرٍ ما كان الغالبَ على زمانه لم يذكروا إلا البلاغةَ والبيانَ والتـصـرفَ في ضروب النظم .

وقد ذكرتُ في الذي تقدمَ عينَ ما ذكرتهُ هاهنا مما يدلُّ على سقوطِ هذا القول . وما دعاني إلى إعادةِ ذكره إلا أنه ليس تهالكُ الناسِ في حديث اللفظ والمحاماةُ على الاعتقاد الذي اعتقدوه فيه وضـنُّ أنفسهم به إلى حدٍّ . فأحبتُ لذلك أن لا أدع شيئاً ممـّا يجوزُ أن يتعلـقَ به متعلـقٌ ويلجأُ إليه لاجءٌ ويقعَ منه في نـفـسِ سامعٍ شكٌّ إلا استقصيتُ في الكـشـفِ عن بطلانه .

وهاهنا أمرٌ عجيبٌ وهو أنـه معلومٌ لكلِّ من نظر أن الألفاظ من حـيـثُ هي ألفاظٌ وكـلـمٌ ونطقٌ لسانٍ لا تختصُّ بواحدٍ دونَ آخر وأنها إنما تختصُّ إذا تُـوـخـيَ فيها النظمُ . وإذا كان كذلك كان مـنْ رفع النظمِ منَ البين وجـعـلَ الإعجازَ بجُمـلته في سهولةِ الحروفِ وجـرـيانها جاعلاً له فيما لا يصحُّ إضافتهُ إلى اﻟتعالى وكـفـى بهذا دليلاً على عـدمِ التوفيقِ وشـدـةِ الضلالِ عن الطريق .

فصل فيه إجمال وعظة .

قد بلغنا في مداواة الناسِ مـنْ دائهم وعلاجِ الفسادِ الذي عرضَ في آرائهم كلِّ مبلغٍ وانتهينا إلى كلِّ غايةٍ وأخذنا بهم عـنَ المجاهلِ التي كانوا يتعسـسـفون فيها إلى السـنـنِ اللـاحـبِ ونقلناهم عـنَ الآجنِ المطروقِ إلى النـمـيرِ الذي يشـفي غليلَ الشاربِ . ولم